



## الكلاب والقطط في الأمثال الشعبيّة

هشام عودة/ الأردن

حظيت بأمثال قليلة، فيما انعدم ذكر العديد من الحيوانات في الأمثال الشعبيّة المتوفرة بين أيدينا.

فإذا كان الكلب، بحسب اعتقادنا، هو أكثر الحيوانات ذكراً في الأمثال الشعبيّة، فإنّ الحمار والجمال والقرد والثور والخيول والقط والخروف والغزال والذئب والبغل والواوي والأسد، ثم الخنزير والدب والضبع، هي التي ترد باستعمالات متفاوتة.

وأما حيوانات مثل الفيل والنمر والفهد وغيرها، فلم نعثر لها على ذكر في الأمثال المتوفرة لدينا من مصادرها، وإن وُجدت فهي أمثال غير شائعة أو هي محدودة بالتأكيد، وذلك بسبب انعدام الصّلة بين هذه الحيوانات ويوميّات حياة الناس التي جاءت الأمثال تصويرًا لجانب منها.

وسأعمد هنا إلى تناول "الكلب" و"القط"، بحسب عدد الأمثال الخاصّة بها والمتوفرة بين أيدينا.

حظيت الحيوانات بعشرات الأمثال الشعبيّة، وذلك لأسباب عديدة لعلّ أهمّها أنّ هذه الحيوانات في معظمها تعيش مع الإنسان وتشاركه يوميّات حياته، وهي بالتالي في مواجهته باستمرار، وخاصّة الأليفة منها.

ثم إنّ المثل حمّل هذه الحيوانات ما أراد أن يقوله في بعض الناس، خاصة في جوانب الصّبر والغباء والدونيّة والحقارة والخبث والدّهاء، وغير ذلك من الصفات التي لم يشأ إصاقها بالإنسان مباشرة، إمّا لكي يأخذ المثل حرّيته في التعبير، أو لأنّ هذا الحيوان لا يصاحبه ردّ فعل نتيجة السبّة والسّتائم.

وباستعراض الحيوانات التي تناولها المثل الشعبي، نجد أنّ الحيوانات الأقرب من الإنسان في معاشه هي التي حظيت بأمثال كثيرة، تكاد تشمل كل صفاتها ومراحل حياتها، في حين أنّ تلك الحيوانات التي يسمع الإنسان بها ولا يراها، أو هو على تماس غير مباشر معها، فقد

## الكلب

أسقط المثل الشعبي الكثير من صفات الحقارة والدونية على الكلاب، ويمكن ردّ ذلك إلى المعتقد الديني الذي يقول بنجاسة الكلاب وعدم طهارتها، ممّا جعلها مرفوضة في الحياة الداخليّة للإنسان العربيّ حيث اكتفى بإسناد دور الحراسة والحماية لها، هذا الدّور الذي ينتهي بانتهاء الفائدة منها، ومع ذلك لم يشفع لها هذا الدّور بالاحترام ولم يعطها أيّ قيمة معنويّة واضحة.

أما بعض من إيجابية الكلاب، فقد وردت في أمثال قليلة، وممّا جاء في المثل:

**“كلب يعوي معك ولا كلب يعوي عليك”**

**“الكلب ما يعرضش ذان أخوه”**

وما عدا ذلك، فإنّ **“الكلب وين ما بقعد بنجس”**، و**“من كل الكلاب فش كلب طاهر”**.

ولأنّ الغدر صفة من صفات الكلب، بحسب رؤية بعضهم، فقد دعا المثل الشعبي إلى مداراته مؤقتاً داعياً إلى التنازل عن بعض المفاهيم السائدة في المجتمع تنفيذاً لمصلحة أو إرضاءً لرغبة، كقوله: **“بوس الكلب من ثمّه تاتقضي حاجتك منه”**، وأيضاً **“اللي يحتاج الكلب يقول يا حاج”**، ولأنّ وظيفة الكلب -وفي الغالب هي الحراسة- معروفة، فقد **“خربت المكثاة واللي عند كلب حاواه”**؛ أي طرده، بعد انتفاء الحاجة إليه بخراب الكرم الذي كان يحرسه.

ومعروف أنّ الكلاب تتواجد في الأماكن المهجورة، ولذلك فإنّ **“الدار بلا باب مأوى للكلاب”** وأنّ

**“أردى الأبواب برّد الكلاب”**، وفي هذا إشارة واضحة إلى ضرورة الاعتناء بالبيوت وأسيجتها كي لا تكون مكاناً لإيواء الكلاب.

وفي مكان آخر يؤكد المثل ضرورة التواصل الاجتماعي بين الناس، لأنّ **“اللي ما عنده حباب بتزوره الكلاب”**؛ أي أنّ هذه الكلاب لا تقترب من البيوت التي تدبّ فيها حركة الحياة.

ولأنّ الكلاب تتمتع بهذه الصفات الحقيرة والدينيّة، فإنّ طعامها أيضاً يحمل المواصفات نفسها، وهنا يقول المثل: **“موت الحمير فرج للكلاب”**؛ إذ فيه وجبة دسمة وشهيّة لها، ولأنّ هذا هو طعامها فإنّ **“الزلايية السخنة محرمة ع الكلاب”**، وأنّ **“الكلاب ما بتوكل هيطلية”**، ومن هنا فقد قال المثل بلهجة استنكاريّة تحمل طابع



أبدًا إلى صفة الوفاء المتوفرة في الكلاب، والتي يتحدث عنها الشعر والتراث العربي... إنَّما ركَّزت على الصفات السليبيَّة للكلاب. ثم ملاحظة أخرى، وهي أنَّ الكلاب المقصودة هنا هي التي تعيش وحدها أو ترافق الرُّعاة، وليست تلك الكلاب التي تعيش اليوم في بيوتات الطبقات المرفَّهة، والتي هي ربَّما لم تكن معروفة من قِبَل الفلاح المعني أكثر من غيره بالأمثال الشعبيَّة وموضوعاتها.

### القط

وردت أسماء "القط" و"القطَّة"، و"البس" و"البسة"، في عدد من الأمثال الشعبيَّة، معتمدة على عدد من المعتقدات الدينيَّة والأسطوريَّة في النَّظر للقطط والتعامل معها، ولعلَّ في مقدِّمة ذلك الحديث النبويِّ الشريف الذي أشار لتلك المرأة التي حبست الهرة، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من حشاش الأرض، لذلك قال المثل الشعبي: "خطيَّة القط ما بتنط"، ممَّا وُلد شعورًا عامًّا لدى الناس بأنَّ القط له (خطيَّة) وبالتالي لا يجوز إيذاؤه. ثم إنَّ هناك معتقدًا يقول إنَّ القطَّة بسبعة أرواح، وبالتالي فهي تنتصر دائمًا على الأخطار وتستطيع الحفاظ على حياتها في أحلك الظروف، ليستفيد المثل من هذا المعتقد ويقول: "مثل البساس بسبع أرواح".

والمعتقد الآخر هو ذلك الذي يوفر للرَّجل الهيبة في بيته وأمام زوجته تحديدًا... حين طالبه

السخرية: "الميت كلب والجنابة حامية"، أي أنَّ الكلب لا يستحق كل هذا الاهتمام، بل إنَّ الذي يليق به أن يكون "الميت كلب والمعزيَّة نوريَّة". ولأنَّ "الكلب المربوط بيوكل رز ولحم، والكلب الفالت يبقرقط عظام"، فقد حذَّر المثل من الاعتناء الكثير بالكلاب حين قال: "سمن كلبك بيوكلك" كدليل على الغدر المتأصَّل في نفس الكلب الذي يظلُّ هو هو، مهما جرى تزيينه أو العناية به، لأنَّ "الكلب كلب ولو طوقته بالذهب". وفي كل الأحوال فإنَّ هذا الكلب لن يخرج عن طوره ولن يبدل سجاياه فهو "كلب وخلف جرو"، وكذلك فإنَّ "ذنبه الكلب عمرها ما بتصح".

ومهما حاول المثل أن يحسِّن من صورة الكلب بقوله: "كلب الشيخ شيخ"، فإنه سيظلُّ مرفوضًا ومستثنىً من اعتبارات كثيرة تؤكِّد نظرة المجتمع إليه التي أكَّدها المثل القائل: "إذا كانت الحماة بتحب الكنة بتطيح الكلاب الجتة" كتعبير شعبي متوارث.

ومع هذه الصفات الكثيرة التي أسقطها المثل على الكلاب، إلَّا أنه اعتبر أحيانًا حال الكلاب أفضل من حال بعض أفراد المجتمع، فإنَّ "اللي بخبط على ذيل الكلب بعضه" في الوقت الذي يتنازل فيه بعضهم عن جانب من حقوقهم... هؤلاء الذين ينطبق عليهم المثل القائل: "راح يربط واجا يربط كلاب الزط أحسن منه" بدليل أنه لم يقر بأيِّ أعمال يُشار إليها.

ما يلاحظ على هذه المجموعة من الأمثال التي تناولت مكانة وصفات الكلاب، أنَّها لم تتطرَّق

المجتمع بضرورة قطع رأس القط أمام زوجته في ليلة عرسه، ممّا يضيف عليه هالة من القوّة والجبروت تجعل منه الأمر النهائي في بيت الزوجيّة الجديد، ولمن لا يتمتّع بهذه الصفات، خاطبه المثل مُعابِتًا بقوله: **”ليش ما ذبحت بسك في ليلة عرسك“**.

لكن التعامل مع القطط، والنّظرة إليها لم يكن ضمن أجواء هذه المعتقدات فقط، فقد اكتشف الناس أنّ القط هذا الحيوان الصغير بحجمه البعيد عن الإيذاء المباشر للإنسان، يتحوّل إلى أسد جراح حين تتعرّض حياته للخطر، وللتدليل على ذلك قال: **”احشر البس يبصير سبع“**، وكذلك فالمطلوب من الذي يريد أن يلاعب القط أن يتحمّل أذاه **”اللي يلاعب القط يبصير على خراميشه“**.

وربّما أراد المثل من الرجل أن يكون حازمًا في رأيه

وقراراته غير هيّاب ولا متردّد، وقد دعاه المثل إلى تجريب ذلك مع القطّة **(الخوّافة)** قائلاً له: **”بدل ما تقول بس، اكسر رجلها“**.

وقد ارتبط القط ارتباطاً وثيقاً في حياة الناس وذاكرتهم أيضاً بعلاقته العدائيّة المتوفرة دائماً مع الفأر، وقد انتبه المثل الشعبي إلى هذه العلاقة فجسّدها بقوله: **”إنّ غاب القط ألعب يا فأر“** لأنّ الفأر لا يستطيع اللعب أبداً في حضرة القط.

من هنا نرى أنّ المثل الشعبي كان أكثر اعتدالاً وطمأنينة في التعامل مع القطط قياساً بالكلاب مثلاً، فالقطط أكثر قبولاً لدى الشخص وبيته، ربّما لأنّها تمنع الفئران من العبث بمحتويات البيت، ثمّ لأنها -أي القطط- لا تعتدي على أفراد الأسرة بشكل مباشر، على عكس غيرها من الحيوانات ■

